تمهيد :

وما أن كان العهد الأموي عهد الأوج السياسي وكان الخلاف قد وقع شديدا في شأن الخلافة وانقسم الناس فرقا وأحزابا واضطربت الحال وتأرّثت نيران الفتن حتى كانت الخطابة والشعر أمضى سلاح ميادين الكفاح.

عوامل الخطابة في عهد بني أمية:

نتيجة لأحوال البيئة وصورة صادقة عنها والبيئة بيئة اضطراب سياسي واجتماعي لاسيما بعد مقتل عثمان بن عفان فقد اصطرع المسلمون صراعا عنيفا ولاسيما العلويون والأمويون وقامت الزبيرية تطالب باستعادة الخلافة بالشورى واستعادة حق المسلمين في اختيار من يسوسهم ورفع الخوارج راية العداء بتكفير علي بن أبي طالب وكل أطراف النزاع واتهامهم بالخروج عن شرع الله والبحث عن السيادة دون القيام بأعبائها الشرعية وعادت القبائل لترفع ألوية العصبية في أسوء صورتها فتمزقت وحدة الأمة وتهشمت القيم التي أرساها الرسول الكريم وأشاعها بين الصحابة والمسلمين فاشتد النزاع الفقهي بين الطوائف ثم تحول إلى نزاع بالسيف وضرب الرقاب «وفي هذا الصراع كله كانت الخطابة وسيلة وعدة وكان الخطباء في أصل كل حركة وفي كل قمة كل فتنة»[1].

وقد شجع هذا الصراع السياسي على الخلافة بين جموع تلك الأحزاب والذي أودى بعدد كبير من الصحابة والتابعين لا ناقة لهم فيها ولا جمل بل هي الحمية وتحقيق مصالحة الخاصة «وإلى جانب الحركات السياسية ظهرت في العالم العربي فرق فكرية ومذاهب دينية ما لبثت أن أعانت التجربة السياسية العام والخاصة وكان لكل فرقة دعاة مبشرون يستعينون بالخطابة لنشر الدعوة والدفاع عنها»[2].

(1).حنا الفاخوري، جامع الأدب العربي القديم، ص358.

(2).المرجع نفسه، ص358.

موضوعات الخطابة الأموية:

1. **الخطابة السياسية:** «كانت الخطابة الأموية سياسية في الدرجة الأولى، فكان للحزب الأموي خطباؤه يدعون إلى طاعته، ويعلنون حقه في الخلافة ويناهضون مناوئيه، ويهددون الخارجين والمارقين، ومن أشهر هؤلاء معاوية بن أبي سفيان وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف»[1]، وكثير من الألسنة المأجورة وخطباء المنفعة التي تزين القول للناس ليبدو على استوائه الشرعي المقنع خاصة وأن حكام بني أمية تحكموا في منابر الخطابة في ربوع الخلافة وأغدقوا العطايا لكل من يناصرهم في مسعى استتباب الأمر لحكمهم وصرف أنظار المسلمين على عداوتهم ومسالمتهم حقنا للدماء.

وقد وُهب علي فصاحة القول وبلاغة الخطاب فكان لسان أنصاره الشيعة يخوض في أمور الفقه والعبادات ويحمل في عديد خطبه لغة الوعظ السليمة النقية من الأحقاد والمنافع فكانت تلك الخطب مما حفظه تاريخ العرب تعد من بدائع القول وجميل الحكم وصدح غيره من أنصاره «أن الخلافة حق شرعي لهم وأن معاوية مغتصب»[2]، ومن بين أقرب خطباء فرقته أبي موسى الأشعري.

بالإضافة إلى أطراف نشأت ضمن الخلاف بين هذين القطبين «فكان للزبيرية خطباؤها وعلى رأسهم عبد الله ومصعب ابنا الزبير بن العوام واعتمادهم على الآيات لتكفير الأمويين وإظهار مروقهم ونفاقهم وكان للخوارج خطباؤهم وفي مقدمتهم قطري بن الفجاءة ومنهجهم أن الإمامة غير محصورة في قريش وأن الخلفاء الراشدين أئمة إلا علي بعد التحكيم وأن معاوية كافر مارق»[3].

وقد عرفت هذه الخطابة أشد أنواع العنف اللفظي تراشقت فيها الفرق التهم وتطاول الخطباء على كثير من الصحابة بفحش الوصف وأعظم التهم وكان أغلبهم من الصحابة

(1).حنا الفاخوري، جامع الأدب العربي القديم، ص359.

(2).المرجع نفسه، ص359.

(3).المرجع نفسه، ص359.

الأطهار الذين غرر بهم فمنهم من استفاق واعتزل ومنهم من طحنته الحرب وأفسدت جميل صوره القديمة ومنهم من مات لا يدري على شهادة أو كفر.

كما أنها كانت تعرف بالشدة والجدال واستعراض الشواهد الفقهية وقياسها ومحاولة الميل في تأويلها إلى ما يخدم رؤية الحزب أو الجماعة فأغلب تلك الخطب إنما كانت تمثل نزالات فقهية واجتهادات دينية في نصرة فرقته واتهام الآخرين بما يضعهم في موقف رد ودفاع بلغة بلاغية وصدح صوتي قد ينقل ثقة الخطيب إلى اقتناع لدى الأنصار بما يقوله.

2. **الخطبة الدينية:** عرفت الخطابة الدينية انتعاشا وتوسعا في مواضيعها فقد باتت من المظاهر التي حرصت على إقامتها الأسرة الأموية وسمحت بممارستها كمظهر من مظاهر التزامها بنشر الدين وحمايته بل وفرض كل المظاهر الدينية التي أُوثرت عن الرسول والخلفاء الراشدين «فتعددت فروعها واختلفت تشعباتها فهناك خطب الجمع والمحافل الدينية التي تفصل التعاليم وتدعو إلى الذكر والتذكر وتحث على التقوى»[1]، وكان في بداية الحكم يحرص الخليفة وحاشيته وبعض أفراد الأسرة على حضور هذه الخطب طلبا لاستئناس الرعية بوجوههم وترسيخا لحضورهم في الحكم ومجلبة لمزيد من الاقتناع بحكمهم الذي بات فرضا على المسلمين حينها.

3. **الخطبة الفلسفية:** وهي خطب الخاصة من العلماء تحمل علوم الكلام وتتطرق إلى مواضيع دينية فكرية تعالج الإسلام من زوايا الحكمة والفلسفة كخطب واصل بن عطاء وغيره وخطب المتصوفة «التي تعتمد الفلسفة الكلامية والنقاش اللاهوتي عن طريق العقل وهناك الخطب الصوفية تدعو إلى الزهد والصدوف عن أباطيل الدنيا والتصعيد في سلم المقامات والكرامات»[2].

(1).حنا الفاخوري، جامع الأدب العربي القديم، ص359.

(2).المرجع نفسه، ص359.

4. **خطابة المناظرة:** لقد خلق الخلاف بين الطرفين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان انقساما سياسيا في البلاد واختلافا وتضاربا في القناعات والرؤى أدى إلى وجود كتلتين أهل العراق وأهل الشام وكان لطبيعة هذا الانقسام في أساسه الديني دور في مظهر خلق خطاب المناظرة فكثيرا ما عقدت المناظرات الفقهية ذات البعد السياسي بين أقطاب الكتلتين في حضور جموع الحاضرين تتابع تلك الصراعات الفكرية والنقاشات الفقهية بين مختلف الكتل السياسية قبل التناحر بالسيف والترس وأغلب تلك المناظرات كان حزب الإمام علي طرفا فيها كمناظرته الأمويين بعد موقعة صفين وجداله مع الخوارج من جهة أخرى فقد أوصى مناظرهم أن يجادلهم بالسنة والحديث لا بالقرآن الذي يحتمل التأويل أكثر من الحديث فروح الجدل امتدت لأغراض الشعر كما رأينا في شعر النقائض، كما كانت «تعقد مجالس للمباراة في الخطابة والسبق فيها وكثيرا ما كان يدعى الشخص إلى القول مفاجأة ليختبر مقدار بيانه وقوة جنانه وحضور بديهته ونهوض حجته ومن ذلك ما عقده عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق من مجلس للخطابة تبارى فيه خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى وواصل بن عطاء وقد نال في ذلك المجلس قصب السبق واصل بن عطاء فمدحه بشار»[1].

5. **خطاب الفتوح:** هي خطب كانت تمارس مع جيوش الفاتحين ترافق سيرهم «ولعل الأمويين وجدوا فيها شاغلا للعرب يمنعهم من التفكير في أمرهم والانتفاض عليهم فوجهوهم إلى البلدان لكيلا يكون بأسهم بينهم " فقد فتحت بلاد شمال إفريقيا في عصر معاوية وبلغت الفتوح السند والهند وأفغانستان وطالت في عهد عبد الملك الأندلس وعرج

(1).الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دار الفكر العربي،القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص240.

على بلاد البنجاب وفتح مسلمة بن عبد الملك أسيا الصغرى ثم حوصرت الأستانة والحروب كما هو معروف تحتاج إلى الخطابة والبيان»[1].

6. **خطابة الوفود:** وتتمثل فيما تلقيه ألسن الماثلين من وفود الزوار المقبلين على الزعماء والخلفاء والأمراء تحمل في ثناياها حاجتهم التي تجشموا لها هذا المسار وقد تحمل تهنئة وفرحا أو مظلمة وألما يرجي رفعه بالمساعدة والتنبه، «فقد كثرت الوفادة على الخلفاء والأمراء لرفع شكاة أو لامتياح أو إعلان النصرة والتأييد وقد يدعو الخليفة بعض الوفود إليه ليسدي إليهم يدا أو يعقد حبل مودتهم أو يستعتبهم على سابقة منهم والوفود عادة من كبار المتكلمين المجيدين يلقون كلامهم في لسان مبين وقول حكيم وأسلوب محكم وإذا اعترض عليهم سددوا الجواب وأتوا بأحسن الخطاب قال عنها ابن ربو إنها مقامات فضل ومشاهد حفل يتخير لها الكلام وتستعذب الألفاظ ويستجزل المعاني ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذي عن قوسه ينزعون وعن رأيه يصدرون فهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن ألسنة»[2].

7. **خطاب الاستخلاف والولاية:** من الخطب المستحدثة لدى الأمويين وباتت من مظاهر مراسيم الحكم «عند مبايعة خليفة أو تولية وال أو عامل وهدفها تخطيط سياسة أو تسكين فتن أو ما إلى ذلك»[3]، «فكان من الخطباء من تكون كل خطبتهم مدحا في خليفة أو تهنئة بولاية أو تعزية لقد عزيز كريم وقد تكون الخطبة أحيانا مشتملة على التهنئة والتعزية عندما يتولى الخلافة ابن الخليفة في أن تكون خطبته جامعة بين تعزية المواسي في فقد والمهنيء بنيل أمل كان مرتجى كما فعل كثيرون من الخطباء في عزاء يزيد في معاوية وتهنئته بالملك»[4]، ومن أشهر خطبائها معاوية عند خطب عام 41هـ

(1).الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص239.

(2).المرجع نفسه، ص.ص 239 .240.

(3).حنا الفاخوري، جامع الأدب العربي القديم، ص359.

(4).الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، ص240.

وأعلن سياسته قائلا: "والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة".

ملامح وخصائص:

1. خطابة عرفت روح الخصام والمجادلة في قدرة عجيبة من لين السياسة

2- وما يميزها امتلاكها روح المنطق والإقناع والقدرة على استمالة الشواهد والأحداث خدمة للغرض الخاص الحزب المنتسب إليه.

3- عرفت خطابة بني أمية بالاستمالة النفعية أما الخوارج فعرفت بعمق العاطفة الدينية أما خطابة الشيعة فتشعر في قوله نبرة الإحساس بالظلم والصبر والقناعة بالحق السياسي المنهوب. أما الخطب الدينية والكلامية فاتسمت بروح الفلسفة والحياد أما خطب الوفود فطغت عليها نزعة البلاغة وجمال الصياغة.